بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمدٍ وآله الطاهرين ...

وبعدُ، فهذا بحث كان قد أثبته سماحة الشيخ الأستاذ في مقدمة بعض نسخ كتاب (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) وقد تم حذفه من نسخ الكتاب المتأخرة بعدما أضيفت إليه بعض المباحث فصار كبر حجمه عائقاً من إثبات هذا المبحث، ولفائدته الكبيرة استللناه من هناك ليتم نشره مستقلاً لتعم الفائدة ولا يُحرم القرَّاءُ منها.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرا، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

مدرسة النصِّ ومدرسة الرأي

يلتحق الرسول الأعظمﷺ بالرفيق الأعلى بعد إكمال رسالته الخالدة بشهادة القرآن الكريم: ﴿**اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِيْنَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتي وَرَضِيْتُ لَكُم الإسلامَ دِيْناً**﴾[1].

وتبرز إثر ذلك مدرستان: «مدرسةُ النص» و «مدرسة الرأي».

ونعني **بالمدرسة الأولى:** مدرسة أهل البيتعليهم السلام المتمثِّلة بشخص رئيسها أمير المؤمنينعليه السلام ومن بعده الذريَّة الطاهرة من ولدهعليهم السلام.

والطابع اللاَّئح على هذه المدرسة اعتمادها في مصادر التشريع على الكتاب والسنَّة لا غير، وحركة الاجتهاد لديها تتحرَّك داخل حدود المصدرين المذكورين.

وتنطلق هذه المدرسة في اقتصارها على المصدرين المذكورين من فكرة وفاء القرآن الكريم وسنَّة الرسول الأعظمﷺ بكلِّ ما يحتاج إليه المسلمون من أحكام.

فالرسولﷺ قد أودع من السنَّة الشريفة لدى أمير المؤمنين والذريَّة الطاهرةعليه السلام من ولده ما يغني المسلمين عن الحاجة إلى الاعتماد على غير النصّ.

ونعني **بالمدرسة الثانية:** مدرسة الخلفاء بشخص رئيسها الخليفة الثاني والتي امتدَّت من بعده وبلغت أوجها على يد إمام الأحناف

---

(١) ــ المائدة : ٣ .

أبي حنيفة إلى حدّ كان يخالف النصّ لأجل الرأي والاستحسان، فقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه إنَّ أباحنيفة كان يقول:

«لو أدركني رسول اللهﷺ وأدركته، لأخذ بكثير من قولي وهل الدين إلاَّ الرأي الحسن»[1].

وتعتمد هذه المدرسة في مصادر التشريع إضافة إلى الكتاب والسنَّة على الرأي، وحركة الاجتهاد لديها لا تقتصر على داخل حدود النصِّ .. بل تتعدَّاه إلى خارجه وتجتهد وفق الرأي والاستحسان أيضاً.

وتنطلق المدرسة المذكورة في عقيدتها هذه من فكرتها الخاصَّة حول الكتاب والسنَّة الشريفين وأنَّهما غير وافيين بما يحتاج إليه المسلمون من أحكام.

وقد برزت جذور هذه المدرسة في عهد النبيﷺ والسِني الأولى من عصر الرسالة، فكان النبيﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى يقول شيئاً وجذور المدرسة المذكورة تحكِّم رأيها واجتهادها في مقابل النصّ.

وعلى سبيل المثال كان النبيﷺ يأمر بكتابة سنَّته والمدرسة تمنع؛ ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص:

«كنت أكتب كلَّ شيء سمعته من رسول اللهﷺ فنهتني قريش وقالوا تكتب كلَّ شيء سمعته من رسول اللهﷺ ورسول الله بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرضا؟ فأمسكتُ الكتابة فذكرتُ ذلك لرسول الله

(١) ــ تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٩٠ .

فأَومأ بإصبعه إلى فيه وقال: اكتُب فوالَّذي نفسي بيدهِ ما خرج منه إلاَّ حق»[1].

وأمَرَ ﷺ في أُخريات حياته بإحضار كتاب يكتب لهم فيه ما لا يضلّون بعده أبداً، فامتنعت المدرسة، وقال بعض رجالها في حق النبيﷺ: قد غلبه الوجع.

وقد حدَّثنا البخاري في صحيحه عن ابن عباس:

«لما حُضر النبيﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب قال : هَلمَّ اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، قال عمر: إنَّ النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم مَن يقول ما قال عمر، فلمَّا أكثروا اللغط والاختلاف، قال: قوموا عنِّي ولا ينبغي عندي التنازُع»[2].

وينقل البخاري في موضع آخر من صحيحه أنَّهﷺ قال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فقالوا: يَهجُر رسول اللهﷺ»[3]، ويأمر النبيﷺ بتنفيذ جيش أسامة ويجتهد آخرون في مخالفته.

يقول الشهرستاني: (والخلاف الثاني في مرضه أنَّه قال: «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله مَنْ تخلَّف عنه» فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدَّ مرض النبيﷺ

(١) ــ سنن أبي داوود : ٢ / ١٢٦ ؛ مسند أحمد : ٢ / ١٦٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ؛ سنن الدارمي : ١ / ١٢٥ .

(٢) ــ صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب العلم : ١ / ٢٢ .

(٣) ــ صحيح البخاري : كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد : ٢ / ١٢٠ .

فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه فنصبر حتى نبصر أيّ شيءٍ يكون من أمره)[1].

يقول أحمد أمين:

«نقل عن كثير من كبار الصحابة قضايا، أفتوا فيها برأيهم كأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت ... وكان حامل لواء هذه المدرسة أو هذا المذهب في ما نرى عمر بن الخطّاب»[2].

لِمَ الحاجة إلى مصدر ثالث

إنَّ بروز فكرة الاعتماد على الرأي كمصدر ثالث للتشريع في عهد الرسول الأعظمﷺ والسِني الأولى من رحيله إلى الرفيق الأعلى له أسبابه السياسية الخاصّة المعروفة، ولكن لِمَ أخذت الفكرة المذكورة بالاختمار أكثر حتّى بلغت أوجها على يد إمام الحنفيَّة النعمان بن الثابت؟ ذلك يعود إلى المنع من تدوين سنَّة الرسول الأعظمﷺ على يد الخلفاء واستمراراً على يد معاوية وحتّى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي حاول رفع الحصار حيث أمر ابن شهاب الزهري بتدوين الحديث[3].

ويحدّث الذهبي أنَّ الخليفة الأوَّل جمع الناس بعد وفاة النبيﷺ قائلاً: «إنَّكم تُحدِّثون عن رسول اللهﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس

(١) ــ الملل والنحل : ٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ / ٥٣ .

(٢) ــ فجر الإسلام : ٢٤٠ .

(٣) ــ طبقات ابن سعد : ٥ / ١٤٠، فتح الباري : باب كتاب العلم : ١ / ٢١٨ .

بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول اللهﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحِلّوا حلاله وحرِّموا حرامه»[1].

ويروي الذهبي أيضاً أنَّ الخليفة الثاني حبس ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري، قائلاً لهم: «أكثرتم الحديث عن رسول اللهﷺ»[2]، وكان يقول أيضاً للصحابة: «أقلّوا الرواية عن رسول اللهﷺ إلاَّ في ما يعمل به»[3].

وفي عهد الخليفة الثالث أعلن على المنبر: «لا يحلّ لأحدٍ يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر»[4].

وفي عهد معاوية برزت ظاهرة جديدة وهي الحثّ على اختلاق أحاديث في فضائل الخلفاء.

يقول الطبري :

«إنَّ معاوية لمّا استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين وأمّره عليها، دعاهُ وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرةٍ، أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تترك شتم عليّ وذمّه، وأكثر الترحم على عثمان والاستغفار له والعيب لأصحاب عليٍّ والإقصاء لهم والإطراء لشيعة عثمان والإدناء

(١) ــ تذكرة الحفاظ : ١ / ٢ ــ ٣ .

(٢) ــ تذكرة الحفاظ : ١ / ٧ .

(٣) ــ تاريخ ابن كثير : ٨ / ١٠٧ .

(٤) ــ منتخب الكنز بهامش مسند أحمد : ٤ / ٦٤ .

لهم. فقال له المغيرة: قد جَرَّبتَ وجُرِّبتُ وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذممني وستبلو فتَحمِد أو تذمّ، فقال: بل نَحمِد إن شاء الله»[1].

هذا في مدرسة الرأي والعكس تماماً نجده في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فالإمام الصادق عليه السلام يقول: «اكتبوا فإنَّكم لا تحفظون حتى تكتبوا»[2]، و «احتفظوا بكتبكم فإنَّكم سوف تحتاجون إليها»[3]، و«اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنّا»[4].

مناقشة أهل البيت عليهم السلام لمدرسة الرأي

وللإمام الصادق عليه السلام مناقشات متعدِّدة ودقيقة لمدرسة الرأي، ففي يوم قال لأبي حنيفة: «أيّما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟ قال: بل القتل، فقال عليه السلام: فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلاَّ بأربعة؟ ثمَّ قال له: الصلاة أفضل أم الصيام؟ قال: بل الصلاة أفضل، قال عليه السلام: فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله عليها قضاء الصوم دون الصلاة، ثمَّ قال له: البول أقذر أم المني؟ فقال: البول أقذر، فقال: يجب على قياسك أن يجب الغُسل من البول دون المني، وقد أوجب الله تعالى الغُسل من المني دون البول... إلى أن قال عليه السلام تزعم أنَّك تفتي بكتاب الله ولست ممَّن

(١) ــ تاريخ الطبري : ٢ / ١١٢، تاريخ ابن الأثير : ٣ / ١٠٢ .

(٢) ــ وسائل الشيعة ٨١/٢٧ باب ٨ من أبواب صفات القاضي / حديث ١٦ .

(٣) ــ وسائل الشيعة ٨١/٢٧ باب ٨ من أبواب صفات القاضي / حديث ١٧ .

(٤) ــ وسائل الشيعة ٧٩/٢٧ باب ٨ من أبواب صفات القاضي / حديث ٧ .

ورثه، وتزعم أنَّك صاحب قياس، وأوَّل مَن قاس إبليس، ولم يُبْنَ دين الله على القياس»[1].

أوَ ليسَ من الحق بعد هذا أن يقول الإمام الصادقعليه السلام في حق الحكم بن عتيبة: «فليشرِّق الحَكَمُ وليغرِّب، أما والله لا يصيب العلم إلاَّ من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل»[2].

أهل البيت امتداد لسنَّة الرسولصلى الله عليه وآله

هناك سؤال يخطر إلى الذهن: كيف اكتفت مدرسة أهل البيت بسنَّة الرسولصلى الله عليه وآله والحال أنّ أغلب الأئمة الطاهرين من ذريَّته لم يعاصروه؟

في هذا المجال يمكن أن يجاب، بأنَّ أهل البيتعليهم السلام قد توارثوا ما عند جدِّهم الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله من علوم وكانوا يتناقلون ذلك فيما بينهم صدراً عن صدر.

فكان لديهم :

أ ـ **كتاب عليّ**: الذي هو من إملاء رسول اللهصلى الله عليه وآله وخط أمير المؤمنينعليه السلام، فعن عذافر الصيرفي: «كنت مع الحَكَم بن عتيبة عند أبي جعفر الباقرعليه السلام، فجعل يسأله الحَكَم، وكان أبو جعفر له مُكرِماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر: يا بُنيّ! قم فأخرِج كتاب عليعليه السلام فأخرَج كتابً مدرجاً عظيماً، ففتحه وجعل ينظر فيه حتّى أخرج المسألة، فقال أبو جعفرعليه السلام: هذا خطّ عليٍّ وإملاء رسول

(١) ــ وسائل الشيعة ٤٨/٢٧ باب ٦ من أبواب صفات القاضي / حديث ٢٨ .

(٢) ــ وسائل الشيعة ٦٩/٢٧ باب ٧ من أبواب صفات القاضي / حديث ٢٣ .

اللهﷺ، وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمّد! اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل»[1].

ب – **والجامعة:** ففي صحيحة أبي بصير: «دخلت على أبي عبد اللهعليه السلام فقلت له: جُعلتُ فداك إنّي أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد اللهعليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر، فاطّلع فيه، ثم قال: يا أبا محمد! سلْ عمّا بدا لك، قال قلت: جعلت فداك إنَّ شيعتك يتحدّثون أنَّ رسول اللهﷺ علّم عليّاًعليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب، قال: فقال: يا أبا محمد! علّم رسول اللهﷺ عليّاًعليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب،قال: فقلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض، ثمّ قال: إنَّهُ لعلم وما هو بذاك، ثمّ قال: يا أبا محمّد! وإنَّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟! قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللهﷺ وإملائه من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليَّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنَّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتّى أرش هذا، كأنّه مغضب...»[2].

ج – **والجفر:** وقد أشار إليه الإمام الصادقعليه السلام في الصحيحة المتقدّمة بقوله: «وإنَّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال: قلت:

(١) – رجال النجاشي : ترجمة محمدبن عذافر .

(٢) – أصول الكافي : ١ / ٢٣٩ .

وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيِّين والوصيِّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل...»[1].

د – **ومصحف فاطمة**عليها السلام: وقد أشارت له صحيحة أبي عبيدة حينما سأل بعض الأصحاب الإمام الصادقعليه السلام عنه، فقالعليه السلام: «إنَّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنَّ فاطمة مكثت بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيلعليه السلام يأتيها، فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيَّتها وكان عليّعليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمةعليها السلام»[2].

هذا كلّه، بالإضافة إلى الوسائل الغيبية التي كان يزوّد الله تبارك وتعالى بها أئمّة أهل البيتعليهم السلام بما يشاء من العلم، ففي غير واحد من الأخبار: لولا أنَّهمعليهم السلام يزدادون لنفذ ما عندهم[3]، كما أنَّ في غير واحد من الأخبار أيضاً: إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك[4].

وبهذا يتَّضح الجواب عن تساؤل آخر وهو : كيف يحصل العلم للأئمّة من أهل البيتعليهم السلام وكيف يتداولونه؟ إنَّ الوسيلة المهمّة لذلك بالإضافة إلى الوسائل الغيبيَّة هي تداول الكتب السابقة، وفي حديث سليم بن قيس: «شهدت وصيَّة أمير المؤمنينعليه السلام حين أوصى إلى

(١) – أصول الكافي : ١ / ٢٣٩ .

(٢) – أصول الكافي : ١ / ٢٤١ .

(٣) – أصول الكافي : ١ / ٢٥٤ .

(٤) – أصول الكافي : ١ / ٢٥٨ .

ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيَّته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثمَّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام: يا بُنيَّ! أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إليَّ كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا ثمَّ أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام، ثمَّ قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي واقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومنِّي السلام»[1].

مصادر التشريع في فقه أهل البيت (عليهم السلام)

وقد تجلّى ممّا سبق أنَّ مصادر التشريع التي يمكن الاستناد إليها في فقه أهل البيت عليهم السلام إثنان: «الكتاب الكريم» و«السنَّة الشريفة».

وأمّا الإجماع، فعدُّه مصدراً مستقلاً مبنيّ على المسامحة، لأنَّه بما هو إجماع ومن دون كاشفيَّته عن موافقة المعصوم عليه السلام ليست له قيمة في نظرنا، ولا نسلم بالمقالة القائلة: «لا تجتمع أُمَّتي على ضلال» فالقيمة على هذا الأساس للسنَّة، أي لرأي المعصوم عليه السلام المنكشف بالإجماع، ودور الإجماع ليس إلاَّ دور الكاشف عن السنّة.

---

(١) ـ أصول الكافي : ١ / ٢٩٧ .

وأمّا **العقل:** فليس له حقّ التشريع ولا معنى لأن يحصل له القطع بحرمة شيء أو وجوبه، إذ ليس له طريق لإدراك ملاكات الأحكام.

أجل .. يمكن أن يحصل له القطع في موردين:

أ – باب الملازمة بين وجوب الشيء ووجوب مقدّمته أو حرمة ضدّه، ومتعلّق القطع في هذا هو الملازمة دون الحكم، ويضمّ القطع المذكور إلى حكم الشارع بوجوب شيء معيّن يستكشف أنَّ الشارع قد حكم بوجوب المقدّمة أو حرمة الضدّ.

ب – الأحكام البديهيَّة الواضحة كوجوب العدل وحرمة الظلم مثلاً، ولكن في هذين الحكمين وما شابههما توجد أدلة شرعيَّة تدلّ على ذلك ولا يكون عدُّ العقل مصدراً من مصادر التشريع بعد هذا قضيَّةً فنيَّة.

ونؤكّد: إنّ دور العقل في الموردين المذكورين – الملازمة والأحكام البديهيَّة – دور المدرك والمستكشف دون المؤسّس والحاكم، إذ ليس من حقّه ذلك.

وإذا سألت عن السيرة هلاّ يصلح عدُّها مصدراً من مصادر التشريع؟ أجبنا: كلاّ لا يمكن ذلك، لأنَّ حجيَّتها تنبع من كاشفيَّتها عن رأي المعصوم عليه السلام الذي هو السنّة وإلاّ فهي لا قيمة لها.

أمّا كيف تكشف السيرة عن موافقة المعصوم عليه السلام ؟ ذلك لأنّها إذا كانت عقلائيَّة ومعاصرة لزمن المعصوم عليه السلام فعدم الردع عنها يدلّ على إمضائها، وإذا كانت متشرعيَّة ومتصلة بزمن

المعصوم عليه السلام فهي تكشف مباشرة عن موافقته وإلاَّ لم تكن سيرة متشرعة[1].

وأمّا الاستصحاب وبقية الأصول العملية، فهي قواعد عامّة مستفادة من السنّة وليست شيئاً مستقلاً في مقابلها.

مستندات حقّانيّة مدرسة أهل البيت عليهم السلام

وقد يخطر للذهن التساؤل عن الوجه في حقّانيّة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبالأحرى: ما هو الوجه في حجيّة حكم الإمام الصادق عليه السلام وغيره من أئمّة أهل البيت عليهم السلام حينما يحصل ذلك منهم في مختلف القضايا الفقهيَّة؟ المستندات كثيرة نشير إلى بعضها باختصار:

١- آية التطهير: ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهِّركُم تطهيراً﴾[2] فإنَّ المراد من أهل البيت أصحاب الكساء الخمسة: محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين «صلوات الله وسلامه عليهم» فقد ذكر الهيثمي في صواعقه أنَّ: «أكثر المفسّرين على أنَّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير – عنكم – وما بعده»[3].

(١) – تجد تفصيل البحث حول السيرة في: دروس في علم الأصول، الحلقة الثانية، ص ١٣٧ – ١٤٠ و ١٥٣-١٥٩، ط مجمع الفكر الإسلامي.

(٢) – الأحزاب: ٣٣.

(٣) – الصواعق المحرقة: ١٤١.

وإذا رجعنا إلى الروايات المفسّرة للآية الكريمة وجدنا أنّها تُفَسِّر أهل البيت بأصحاب الكساء الخمسة وأنّ عددها من غير الشيعة أكثر ممّا ورد من طرقهم.

وكمثال لذلك: روى أحمد في مسنده عن أم سلمة: «أنَّ النبيﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكّان* تحته كساء له خيبري. قالت: وأنا أُصلِّي في الحجرة، فأنزل الله هذه الآية ﴿**إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهِّركُم تطهيراً**﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثمّ قال: اللَّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي فاذهب عنهم الرجس وطَهّرهم تطهيراً، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنَّكِ إلى خير، إنَّكِ إلى خير»[1].

٢ـ **حديث الثقلين**: الصادر من النبيﷺ في مواطن متعدّدة وبأسانيد متعدّدة من غير الشيعة.

وعلى سبيل المثال روى الحاكم النيسابوري بإسناده عن زيد بن أرقم: «**لمّا رجع رسول اللهﷺ من حَجَّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: كأنّي قد دُعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيها، فإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم**

* ــ البُرمة قدر من الحجر ، والحريرة: الدقيق مطبوخ بلبن، والدكان: مرتفع يجلس أو ينام عليه، والكساء: الثوب.

(١) ــ مسند أحمد : ٦ / ٢٩٢ .

قال: إنَّ الله عزَّ وجل مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: مَنْ كنتُ مولاه فهذا وليّه، اللهُمَّ وال مَنْ والاه وعاد مَنْ عاداه»[1].

والحديث يستفاد منه أعلميَّة أهل البيت عليهم السلام بالكتاب الكريم من غيرهم لقرنهم به، وإنَّ التمسّك بالكتاب والعترة يمنع من الوقوع في الضلالة، وإنَّ الابتعاد عنهم والتقدّم عليهم حرام، لأنَّهُ يوقع في الهلاك، وهذا يعني بعبارة ثانية حصر الإمامة فيهم، كما ويستفاد منه رابعاً عدم انحراف العترة يوماً ما عن الكتاب الكريم بل ذلك باقٍ إلى يوم القيامة.

٣ ـ **حديث السفينة**: المروي بطرق متعدِّدة، وكمثال على ذلك: ذكر ابن حجر الهيثمي: «جاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: إنَّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح مَن ركبها نجا، وفي رواية مسلم: ومن تخلَّف عنها غرق...»[2] والدلالة واضحة.

٤ ـ **حديث الأمان**: المروي بطرق متعدِّدة أيضاً، وكمثال على ذلك: روى الحاكم النيسابوري عن ابن عباس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمَّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[3] والدلالة واضحة.

---

(١) ـ مستدرك الحاكم : ٣ / ١٠٩ .

(٢) ـ الصواعق المحرقة : ١٥٠ .

(٣) ـ مستدرك الحاكم : ٣ / ١٤٩ .

٥ – **حديث الاثني عشر**: المروي بطرق متعدّدة أيضاً، وكمثال على ذلك: روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة: «دخلت مع أبي على النبيﷺ فسمعته يقول: إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، ثم تكلَّم بكلام خَفِيَ عليَّ، قال قلتُ لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش»، وقد رواه بسبع طرق[1].

ودلالة الحديث واضحة حيث لا يلتئم مضمونه إلاَّ على مبنى الإماميَّة.

الأدوار الثلاثة لفقه أهل البيت «عليهم السلام»

والنقطة المهمَّة في هذا البحث ملاحظة ما مرَّ به فقه أهل البيتعليهم السلام من أدوار ويمكن أن نعدّها ثلاثة، ملاحظين في تقسيمنا لذلك الظواهر البارزة لما مرَّ به الفقه في كلِّ دور.

الدور الأوَّل:

وهو دور الرواة من صحابة الأئمَّة عليهم السلام – ويبتديء من الأيام الأولى للتشريع الإسلامي وحتّى بداية الغيبة الصغرى سنة ٢٦٠ هـ.

والظاهرة البارزة والمشتركة في هذا الدور أنَّ الفقه كان يعيش حالة تدوين الروايات وبشكل متناثر لا أكثر، فالأصحاب كانوا يسمعون الأحاديث من المعصومينعليهم السلام ويسجِّلونها في مدوّناتهم بشكل غير مبوَّب، فكل ما يسمع يسجَّل في أوراق خاصّة، فرُبَّ حديث

(١) – صحيح مسلم : كتاب الإمارة / باب ١ (باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش) حديث ٥ .

يسمع في باب الطهارة يُضمّ إلى ثان في باب النكاح إلى ثالث في باب الديَّات، والكل يسجّل في مكان واحد من دون استيعاب للأبواب الفقهيَّة ولا تبويب لها بل هي أشبه بالمذكّرات الشخصيَّة الخاصّة.

ولعلَّ أوّل مدوّنة – بعد استثناء ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام من كتابه المعروف وما شاكله من الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ممّا تقدّمت الإشارة له سابقاً – هي مدوَّنة أبي رافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الذي دخل يوماً على النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم أو يوحى إليه، ورأى حيَّة في جانب البيت، فكره أن يقتلها خوفاً أن يستيقظ صلى الله عليه وآله فنام بينه وبينها كي إذا كان منها سوء توجّه إليه دون النبي صلى الله عليه وآله، إن هذا الرجل على ما ذكر النجاشي له كتاب باسم كتاب السنن والأحكام والقضايا[1].

ولابنه المسمّى بعلي بن أبي رافع الكاتب لأمير المؤمنين عليه السلام كتاب في فنون من الفقه كالوضوء والصلاة وسائر الأبواب.

وتوالت المدوَّنات الفقهيَّة وبلغت الذروة في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام حيث سنحت لهما الفُرصة – بسبب ضعف السلطة الأمويَّة أواخر أيّامها وانتقالها إلى السلطة العبّاسيَّة – ببثِّ الكثير من علومهما وتدوين خيار الصحابة من الشيعة لها في مذكَّراتهم الشخصيَّة.

وبلغت تلك المدوَّنات حسب عمليَّة الإحصاء التي قام بها الحر العاملي «٦٦٠٠» كتاب[2] إلاَّ أنَّ الذي اشتهر من بين هذه الكتب

(١) – رجال النجاشي : ترجمة أبي رافع .

(٢) – وسائل الشيعة : آخر الفائدة الرابعة من الفوائد المذكورة في الخاتمة .

«٤٠٠» كتاب وهي المعروفة بالأصول الأربعمائة التي نتجت منها بعد ذلك الكتب الأربعة للمحمَّدين الثلاثة[١].

يقول ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيّوب السجستاني»[٢]

وكان المركز العلمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام تلك الفترة هي المدينة المنورة فهي العاصمة لعلومهم وروّادها.

وفي هذه الأثناء انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة – المركز العلمي الثاني لمدرسة أهل البيت عليهم السلام – أيّام أبي العباس السفّاح واستمر فيها فترة سنتين واشتغل عليه السلام في نشر علومه وأفكار مدرسته لضعف السلطة آنذاك بسبب انتقالها من الأمويين إلى العبّاسيين، وكان منزله عليه السلام في الكوفة في بني عبد القيس[٣].

ويحدث الحسن بن علي الوشاء: «إنِّي أدركتُ في هذا المسجد – مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ كلٌّ يقول حدَّثني جعفر بن محمد عليهما السلام»[٤].

ويحدِّث محمد بن معروف: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد عليهما السلام فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلما كان اليوم

(١) – وهم : محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب الكافي، ومحمد بن علي بن الحسين الصدوق صاحب كتاب من لا يحضره الفقيه، ومحمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب التهذيب والاستبصار (رحمهم الله).

(٢) – الصواعق المحرقة : ١٩٩ .

(٣) – تاريخ الكوفة للبراقي : ٤٠٨ .

(٤) – رجال النجاشي : ترجمة الوشاء.

الرابع، رآني فأدناني، وتفرَّق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فتبعته وكنت أسمع كلامه وأنا معه أمشي.

وإلى هذه الفترة يشير الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام «دخلتُ على أبي العبّاس بالحيرة، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في الصيام اليوم؟ فقال: ذاك إلى الإمام، إن صُمْتَ صُمنا وإن أفطرتَ أفطرنا...»[1].

وكان كبار أصحاب الإمام عليه السلام من الكوفة كأبان بن تغلب الذي روى عنه «٣٠/٠٠٠» حديثٍ ومحمّد بن مسلم الذي روى «٤٠/٠٠٠» حديثٍ.

وقد حاول الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي جمع أسماء من روى عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب فكان عددهم «٤٠٠٠» رجل، وقد نقل من ذلك الكتاب الشيخ الطوسي والنجاشي في فهرستهما الشيء الكثير.

وبعد هذا فليس من الغريب إذا ما سمعنا الذهبي يقول:

«فهذا – التشيّع – كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردَّ حديث هؤلاء – أي الشيعة – لذهب جملة الآثار النبويَّة»[2].

ونحن حينما ذكرنا أنَّ الظاهرة البارزة والمشتركة لهذا الدور، تولد فقه أهل البيت عليهم السلام على مستوى تدوين الأحاديث وبشكل متناثر وبدون استيعاب، فهذا لا يعني عدم اشتماله على فقهاء كبار يشكِّل

(١) ــ وسائل الشيعة ١٣٢/١٠ باب ٥٧ من أبواب ما يمسك عنه الصائم، حديث ٥ .

(٢) ــ ميزان الاعتدال : ١ / ٥ .

كلّ واحد منهم في نفسه بحراً متلاطماً كمحمَّد بن مسلم وزرارة بن أعين وأبي بصير الذين قال عنهم الإمام الصادق عليه السلام: «بشّر المخبتين بالجنّة : بريد بن معاوية العجلي وأبا بصير ليث البُختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوَّة واندرست»[1].

بل كانوا بمستوىً يرى فيهم الإمام عليه السلام الاجتهاد والقدرة على الاستنباط ولذا تارةً أمرهم بممارسة ذلك فعلاً، حيث قال عليه السلام: «إنَّما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرِّعوا»[2].

وأخرى يحصل منهم مراجع في الأحكام كيونس بن عبد الرحمن، حيث قيل للإمام عليه السلام إنِّي: «لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم ديني أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال: نعم»[3].

وثالثة يأمرهم بالإفتاء كأبان بن تغلب حيث قال له الإمام عليه السلام: «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإنِّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك»[4].

ويدخل على الإمام الصادق عليه السلام مرَّة فلمّا يبصر به يصافحه ويعانقه ويرحِّب به يأمر له بوسادة، وكان إذا قدم المدينة تتقوّض له الخلق وتُخلى له سارية النبي صلى الله عليه وآله[1].

---

(١) ــ رجال الكشّي : ترجمة أبي بصير ليث المرادي .

(٢) ــ وسائل الشيعة ٦١/٢٧ باب٦ من أبواب صفات القاضي، حديث ٥١ .

(٣) ــ وسائل الشيعة ١٤٧/٢٧ باب ١١ من أبواب صفات القاضي، حديث ٣٣ .

(٤) ــ رجال النجاشي : ترجمة أبان .

أَوَ ليسَ من المناسب بعد هذا حينما يصل نعيه إلى الإمام عليه السلام يقول: «والله لقد أوجع قلبي موت أبان»[٢].

الدور الثاني

ويبدأ هذا الدور من بداية الغيبة الصغرى سنة ٢٦٠ هـ وحتى فترة زعامة الشيخ الطوسي المولود سنة ٣٨٥هـ والمتوفّى سنة ٤٦٠هـ.

والظاهرة البارزة والمشتركة في هذا الدور انتقال فقه أهل البيت عليهم السلام من كونه مجرد روايات مسجَّلة ومن دون تبويب إلى عرضه كمتون فقهيَّة لا تتجاوز حدود ما هو الموجود في الروايات كمَّاً ولا يتعدَّى ألفاظها كما نرى هذا واضحاً في شرايع علي بن بابويه التي هي رسالته إلى ولدهِ محمد والتي قيل عنها إنَّ الأصحاب كانوا متى ما أوزعتهم النصوص أخذوا بشرايع علي بن بابويه .

ومن أمثلة ذلك أيضاً كتابا «المقنع» و «الهداية» للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه، وكتاب «النهاية» للشيخ الطوسي.

ولا نعدم في هذه الفترة أعلاماً اقتصروا في عرض الفقه على تدوين الروايات فقط إلاّ أنَّ عرضهم كان مبوَّباً وشاملاً لجميع أبواب

---

(١) ــ رجال النجاشي : ترجمة أبان .

(٢) ــ رجال النجاشي : ترجمة أبان .

الفقه، كما نرى ذلك واضحاً في الكافي للشيخ الكليني ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق.

هذا هو الطابع العام في الدور المذكور، ولكن هذا لا يعني عدم وجود أعلام تجاوزوا نطاق النصوص وتعدّوا عنها محاولين بذلك التمسّك بالاستدلالات العقلية أيضاً كما هو الحال بالنسبة إلى العماني والاسكافي.

وإذا أردنا التوضيح أكثر، أمكن أن نقول: إن هذا الدور ضمَّ ثلاث مدارس بارزة :

أ – مدرسة «قم» و «الري»؛ وكانت هذه المدرسة تحاول التمسّك بالنصوص وعدم التعدِّي عنها إلى الاستدلالات العقلية، ومن جملة أعلام هذه المدرسة الصدوقان «الأب والابن» وابن قولويه، وكانت هذه المدرسة قويَّة ومورد اعتماد الأصحاب حتى أنَّ سفير الناحية المقدسة الشيخ النوبختي الحسين بن روح يرسل كتاب التأديب إلى قم ويكتب إلى جماعة الفقهاء بها: «انظروا ما في هذا الكتاب وانظروا فيه شيء يخالفكم»[1].

ب – مدرسة العماني والاسكافي؛ وكانت هذه تحاول التمسك بالاستدلالات الأصولية العقلية حتى أنَّه قد ينسب إليها العمل بالقياس والرأي.

والعماني هو الحسن بن علي بن أبي عقيل الذي انتهت إليه الزعامة الدينية الشيعية بعد انتهاء فترة الغيبة الصغرى.

---

(١) ــ الغيبة : للشيخ الطوسي : ٢٤٠ .

وقيل: إنَّهُ أوَّل من أدخل الاجتهاد بشكله المعروف إلى الأبحاث العلمية وأخذ بتحرير الفروع الفقهيَّة وذكر الأدلَّة لها وألَّف كتابه المعروف بـ«المستمسك بحبل آل الرسول» الذي قال عنه النجاشي:

«كتاب مشهور في الطائفة وقيل ما ورد الحاج من خراسان إلاَّ طلب واشترى منه نسخاً، وسمعت شيخنا أبا عبد الله﵀ يكثر الثناء على هذا الرجل﵀»[1].

ومع الأسف لم يبق لهذا الكتاب يومنا هذا عين ولا أثر.

والإسكافي هو محمد بن أحمد بن الجنيد الذي انتهت إليه شيخوخة المذهب بعد ابن أبي عقيل وألَّف كتابين فقهيَّين: أحدهما باسم «تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة» والآخر باسم «الأحمدي في الفقه المحمَّدي»، ولا أثر لهذين الكتابين يومنا هذا أيضاً.

ج – مدرسة بغداد أو بالأحرى مدرسة الشيخ المفيد وتلاميذه التي حاولت أن تجمع بين الاتِّجاهين: التمسّك بالنصوص والاستدلالات العقلية، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى تتلمذ الشيخ المفيد على روّاد كلتا المدرستين السابقتين، فهو من تلامذة ابن الجنيد صاحب المدرسة السابقة وجعفر بن محمد بن قولويه الذي هو من قم ومن روّاد مدرستها.

وللشيخ المفيد عدَّة مؤلَّفات : منها «المقنعة» التي شرحها الشيخ الطوسي في كتاب باسم «تهذيب الأحكام».

الدور الثالث :

(١) – رجال النجاشي : ترجمة الحسن بن علي بن أبي عقيل .

ويبتديء هذا الدور من فترة زعامة الشيخ الطوسي ويستمرّ إلى الفترة الحاضرة، والظاهرة البارزة في هذا الدور تحول الفقه من تدوينه كمتون فقهيَّة موافقة للنصوص في ألفاظها إلى التدوين بلا تقيّد بألفاظها ومع التعدي بذكر تفريعات جديدة لا وجود لها فيها، كل ذلك مع الاستدلال المتكامل بالنصوص والقواعد الأصولية العقلية.

وأوَّل ما وصل بأيدينا من نتاج هذا الدور كتاب المبسوط للشيخ الطوسي قدس سره وهو في مقدمة الكتاب قد أشار إلى ذلك وأنَّ المخالفين لا زالوا يستخفّون بنا وينسبون لنا قلَّة التفريعات والمسائل مدَّعين أنَّ من لا يعمل بالقياس والاجتهاد ليس باستطاعته تكثير المسائل والتفريع على الأصول، ثم أضاف قائلاً : «وكنت من قديم الزمان متشوِّقاً إلى ذلك ولكن يعوقني قلَّة رغبة هذه الطائفة فيه وترك عنايتهم به، لأنهم ألَّفوا الأخبار وما رووه من صريح الألفاظ حتى أن مسألة لو غيَّر لفظها وعُبِّر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم، لعجبوا منها وقصر فهمهم عنها»، ثم قال: «إنِّي كنت قد ألَّفت النهاية بالألفاظ المنقولة حتى لا يستوحشوا من ذلك». انتهى ما أفاده قدس سره

وهو يدل بوضوح على النقلة العظيمة التي قام بها الشيخ من الدور الثاني إلى الثالث .

وينبغي أن يكون واضحاً أنا حينما نعدُّ الفترة المذكورة دوراً واحداً فهذا لا يعني انعدام الظواهر المختلفة فيها، كيف والشيخ بعد أن قام بأعباء هذا التحول وشيَّد أركان مدرسته المباركة في النجف الأشرف التي ارتحل إليها بعد هروبه من بغداد أصاب نهضته العلميَّة هذه شيء من الركود بعد التحاقه بالرفيق الأعلى بحيث كل مَن جاء بعده

انبهر بعظمته ولم يستطع الوقوف أمامه ومناقشة آرائه العلميَّة، الفترة التي يصفها ابن إدريس بـ«فترة المقلدة» ولم يستطع القضاء عليها إلاّ هو، حيث وقف مناقشاً لآراء الشيخ العلميّة وكسر نطاق الخوف الا أنّ هذا لا يعني حصول تغيّر في جوهر الدور الذي قام به الشيخ بل إنَّ الطريقة التي قام بها في مبسوطه باقية إلى يومنا هذا وإن حصلت بعض التغيرات الجانبية.

ولا تفوتنا الإشارة إلى ظاهرة الإجماع، فإنَّ الإجماع كدليل إلى جانب بقيَّة الأدلَّة برز لدى غير الشيعة بعد وفاة النبيﷺ دعماً لبعض المواقف التي حصلت في تلك الفترة وبقى مختَّصاً بهم إلى فترة الشيخ الطوسي واستاذه المرتضى حيث برز لدى الشيعة كدليل يتمسَّك به وأخذوا يستدلّون على حجيَّته بطريقة اللطف أو غيرها حتّى انتهت النوبة إلى المحقق التستري، فألَّف كتاباً خاصَّاً بذلك باسم كشف القناع عن وجوه حجية الإجماع.

وبقي الإجماع دليلاً يتمسَّكُ به فيما بعد في كلمات المحقق والعلاّمة والشهيدين ولم يكتف وحده بالبروز في ميدان الاستدلال حتى انضمَّت إليه الشهرة الفتوائية، فكثيراً ما يستدلّ بالإجماع المنقول والشهرة المحققة، إلاَّ أنَّه في الآونة الأخيرة لم تبق قيمة معتدٌّ بها لهذين الدليلين وعوّض عنهما بالارتكاز وسيرة المتشرعة وسيرة العقلاء أو أنَّ المسألة ابتلائيَّة، فلو كان فيها حكم آخر لاشتهر وذاع وما شاكل ذلك.

ولا يفوتنا أن نسجِّل لمثل المحقق الحلي ما قام به من خدمة جليلة في تأليف كتابه المشهور بـ«شرايع الإسلام» حيث قسَّم أبواب

الفقه إلى تقسيم رباعي معروف استمرَّت روحه إلى وقتنا الحاضر، كما وأن المنهجة التي قام بها في كتابه عند بحثه لكلّ باب والإشارة إلى الأقسام بالأرقام وتشقيق كل قسم إلى شقوق أخرى بأرقام أخرى مضبوطة كل ذلك فضلٌ لا يُنسى .

وهكذا ما قام به العلاّمة من ادخال الرياضيات في علم الفقه أو إجراء أبحاث فقهيَّة مقارنة بين المذاهب جهود مشكورة وثمينة وليس من الإنصاف تناسيها.

أجل الذي أراه – إن لم أكن مخطئاً – أنَّ كثيراً من وجوه الاستدلال التي كان يتمسَّك بها مثل الشيخ وصاحب السرائر والعلاّمة و... أصبحت يومنا هذا أشبه بالاستحسانات منها بالأدلة العلميَّة ونظرة سريعة على فقه القدماء توضِّح بشكل جلي ما نقول.

ولا ننسى أن نشير أيضاً إلى أنَّ الأبحاث السنديَّة والتدقيق من الزاوية المذكورة ظلَّ مهملاً في كلمات القدماء بل وإلى يومنا المعاصر تقريباً، فهذا مكاسب الشيخ الأعظم مثلاً لا نجد مثل ذلك فيه.

والنتيجة التي يمكن أن ننتهي إليها: أنَّ روح الدور الثالث بقيت على ما هي عليها إلى يومنا المعاصر، ولئن حصل هناك تطوّر، فهو في مسائل جانبيَّة من قبيل:

أ – منهجة الأبحاث بشكل أكثر فنيَّة .

ب – التعرّض إلى فروع أكثر وأوسع تبعاً للمرحلة الزمنيَّة.

ح – التعويض بأشكال من الاستدلال أكثر متانة وقوَّة.

د – محاولة ربط المسائل الفقهيَّة بالمسائل الأصولية بدرجة أكبر.

هـ – محاولة الاهتمام بالأبحاث السندية بدرجة أقوى.

و – إهمال بعض التفريعات القديمة لفقدان الحاجة إليها والتعويض عنها بتفريعات جديدة تبعاً للحاجة الزمنيَّة.

منهجة الأبواب الفقهيَّة:

قسَّم المحقق الحلي في شرائعه الأبواب الفقهيَّة إلى أربعة أقسام: عبادات وعقود وإيقاعات وأحكام.

ووجه ذلك على ما ذكره الشهيد الأول : أنَّ الغاية من الحكم إذا كانت مرتبطة بالآخرة فذاك مورد العبادات.

وإن كانت مرتبطة بالدنيا فتارة يحتاج تحقّقها إلى إيجاب وقبول، وأخرى إلى إيجاب فقط، وثالثة لا يحتاج إلى شيء من ذلك.

والأول مورد العقود، والثاني مورد الإيقاعات، والثالث مورد الأحكام[1].

وهو وإن كان بحاجة إلى إصلاح ليبرز دور التشريع الإسلامي في مجالاته بشكل أكثر فنيَّة إلاَّ أنّا نترك ذلك إلى مستوى أعلى من البحث ونسير في عرضنا للأبواب الفقهيَّة على ضوء التقسيم المتوارث.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة دينه الحنيف وأن يهدينا إلى تطوير الفقه الإسلامي بالشكل المناسب إنَّهُ خير سميع ومجيب.

---

(١) ــ القواعد والفوائد : ١ / ٣٠ .